بدآءة القرن العشرين

استطار الجدال في هذه الايام بين خاصّة النـاس وعامّتهم في تعيين بدآءة القرن العشرين هل تكون من اول سنة ١٩٠٠ الحاليّة او سنة ١٩٠١ الآتية . وقد خاضت في هذا البحث جرائد اوربا ومجلاتهـا ودخلت فيهِ مجالس الدول حتى جآء اخيراً ان مجلس المانيا الاعلى قرّر ان بدآءة القرن تكون في اول يناير من هذه السنة اي سنة ١٩٠٠ وهو غريب

وقد وقفنا على مناقشةٍ في هـذا المعنى بين المسيو كاميل فلامريون الفلكي المشهور والمسيو موريس دونان على اثر مقالةٍ نشرها المسيو فلامريون في مجلة المجلات الفرنسوية اثبت فيها ان القرن العشرين يبدأ من سنة ١٩٠١ لا سنة ١٩٠٠ بنآءً على ان العدد يبدأ من الواحد لا من الصفر والا لزم ان يكون قد افتتُح التـاريخ بسنةٍ يكون عددها صفراً وهو ما لا يُعهد في شيءٍ من المعدودات وان كلاًّ من عددي العشرة والمئة يكون تمةً لما قبلهُ لا مبدأً لما بعدهُ والاّ لم تكن العشرة عشرةً ولا المئة مئةً

قال وليست هذه بأول مرةٍ وقع فيها الخلاف في تعيين بدآءة القرن فقد كان مثل ذلك سنة ١٧٩٩ و ١٦٩٩ و ١٥٩٩ وقد نشب في آخر القرن الغابر جدالٌ عنيف في هذه المسئلة وصل الى ملعب التمثيل فمُثّلت فيهِ روايةٌ عنوانها « في اي قرنٍ نحن » ولا بدع ان يكرر هذا العنوان في السنة القابلة (١٩٠٠) فنقول « في اي زمنٍ نحن » على اني احقق انّا لسنا بعد في زمن الرشد الا ان ما ذكرنا من مباحث القرن الماضي لم يكن ليجلو الحقيقة جلآءً

يقطع الريب فان ڤكتور هوغو مثلاً ولد في ٢٦ فبراير سنة ١٨٠٢ ولم يكن للقرن اذ ذاك الا ثلاثة عشر شهراً وخمسة وعشرون يوماً وساعات . ولست اخال انهُ اذا كان مولودٌ بهذه السنّ يقال انهُ ابن سنتين ومع ذلك فان هذا الشاعر لما اشار الى تأريخ مولدهِ ذكر انهُ يوم وُلد كان عمر القرن سنتين وهذا يدل على انهُ كان يعتقد ان القرن ابتدأ سنة ١٨٠٠ وما ادري لعل الشعرآء يحسبون على خلاف ما يحسب الفلكيون . وعلى مثل هذا درج المسيو هراديا من رجال الندوة العلمية الفرنسوية في هذا الاوان فانهُ لما أرّخ الجسر المبنيّ على اسم اسكندر الثالث والذي في العزم الاحتفال بهِ سنة ١٩٠٠ عبّر عن السنة المذكورة بانها فجر القرن العشرين

ثم ذكر ان بين يديهِ خمس رسائل في البحث عن رأس القرن الثامن عشر قد طُبعت في باريز سنة ١٦٩٩ جاء في جملتها ادلةٌ من نصوص التوارة ومن كلام آباء الكنيسة وقواعد الدين المسيحي وطوفان نوح وغير ذلك مع الاستظهار برسوم هندسية يُستَدلّ بها على التمييز بين السنين وكيفية عدّها . وذكر ان مباحثةً في مثل ذلك جرت سنة ١٥٩٩ بحضرة البابا فلم يقطع في هذه المسئلة بقول ولكن ردّها الى رأي علماء الهيئة . قال وعلم الهيئة لم يتغير وكذلك قواعد الحساب لا تزال اليوم كما كانت اذ ذاك ثم افاض من البراهين بما لا يعدو ما ذكرناهُ

والامر ظاهرٌ كما تراهُ لا يحتمل مناقشةً ولا جدالاً ولكن المسيو دونان ابى الا ان يثبت ان في السنين سنة تُعَدّ بالصفر قياساً لها على سائر المقادير من المُدَد والمسافات بزعمهِ وذلك كخطوط الدرَج على الكرة ورسوم

الساعات على الميناء والكيلومترات في الطرق فان كل ذلك يُبدأ العدد الاول منهُ بالصفر ولا يصار الى رقم الواحد الا بعد ان تمرّ المسافة التي بينهُ وبين الصفر. قال فالسنة الاولى اذن هي التي مرّت من بدء حساب التاريخ اي من يوم ميلاد المسيح الا ان الاشهر الاولى من ذلك اليوم مرّت الى الشهر الحادي عشر ولم يُنطق بسنة احدى الا عند ما تمّت الاثنا عشر شهراً. والسنة الثانية ابتدأت من اول يناير سنة احدى وتمت في اول يناير سنة اثنتين وكذلك سنة احدى بعد الالف والتسع مئة تبدأ من اول يناير سنة ١٩٠٠ وتتم في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠٠ لكن من البين ان الالف والتسع مئة سنة يكون تمامها بتاريخ اول يناير ١٩٠٠ . انتهى كلامهُ تحصيلاً وفيهِ من الاضطراب ما لا يخفى وحاصل ما يؤخذ منهُ ان اعداد السنين عندهُ تتأخر عن معدوداتها فهو يسمي السنة الثانية سنة احدى والسنة الثالثة سنة اثنتين وهلمَّ جرًّا كما يتبين من تحديدهِ ابتدآء السنة الثانية وانتهآءها . وعلى ذلك فاذا أرّخنا بشهر يناير مثلاً من سنة احدى كان ذلك في الشهر الثالث عشر بعد بدء التاريخ لا في الشهر الاول لان سنة احدى لا تبدأ عندهُ الا بعد تمام الشهر الثاني عشر وكذا ما يلي من السنين الى سنة ١٩٠٠ فان شهر يناير منها وهو الذي نحن فيهِ يكون مبدأ سنة ١٩٠١ لا سنة ١٩٠٠ وبهذا الاعتبار نكون اليوم في رأس القرن العشرين

وما نرى الا ان في الامر سبق فكر اوقعهُ فيهِ قياس السنين على ما ذكر من درجات الكرة وما يليها ولو احسن اعتبار الامر لظهر لهُ ان مدلول الواحد في الخطوط التي على الكرة هو جميع الفسحة التي بين الصفر ورقم

الواحد فما يلي الصفر منها هو من اجزآء الواحد لا من اجزآء الصفر وكذا ما بين الواحد والاثنين وهلمَّ جرًّا الى رقم ١٨٠ فان ما قبلهُ من الاجزآء هو للرقم نفسهِ لا لرقم ١٧٩ والا لزم ان نبدأ العدد بالصفر ونختمهُ برقم ١٧٩ واصبح رقم ١٨٠ لغواً وهو مخالفٌ للطبع والوضع . ومعلومٌ ان خط الصفر على الكرة ليس بشيء ولا دخل لهُ في قياس الدرج وانما وُضع بين درجات الطول للفصل بين الدرجة الاولى منها شرقاً ومثلها غرباً وبين درجات العرض للفصل بين الدرجة الاولى شمالاً ومثلها جنوباً فهو دليل على ان لا عدد هناك اذ ليس قبل الواحد شيء ولذلك استُغني عن الصفر في المتر مثلاً لعدم الحاجة الى الفصل المذكور كما هو ظاهر . وانما جُعل عدد كل درجةٍ عند آخرها لا عند اولها كما نعتبرهُ في حساب السنين لان المقصود في عدد الدرجات ادخال كل ما قبل العدد في قياس المسافة التي يراد تعيينها فاذا قيل ان موضع كذا على ٥ درجات من الطول الشرقي مثلاً كان المراد ان المسافة التي بين موقعهِ والصفر خمس درجاتٍ كاملة فلو وُضع رقم الخمسة على اول الدرجة كان هناك اربع درجات لا خمس . وبخلافهِ ما اذا قلنا كان حادث كذا في اليوم الخامس من شهر مارس مثلاً سنة كذا فان المراد هناك يومٌ معيَّن من شهرٍ معين من السنة المذكورة لا مجموع الايام من ذلك اليوم الى اول السنة ولا مجموع السنين التي مرّت من اول التأريخ ولذلك لزم ان نعين عدد السنة من اولها حتى تكون مستقلةً بنفسها ويكون كل يومٍ من ايامها مقيداً بها وداخلاً ضمنها . ولا يلزم من اطلاق عدد السنة ان تكون السنة قد تمت كما لا يلزم من اطلاق اسم الشهر ان يكون الشهر قد انتهى فاننا نؤرخ باول يناير مثلاً مع ان شهر

يناير لا يكون قد جآء منهُ الا يومٌ واحد ونقول كان ذلك في اول الشهر الثالث او الخامس ولا يُفهم من ذلك الا اننا نريد شهر مارس او شهر مايو لا الشهر الذي يليهِ والا لزم ان نجري على هذا الاعتبار في القرن ايضاً فيكون القرن الاول هو الذي بدأ بعد انقضآء المئة الاولى ثم هلمَّ جرًّا الى القرن العشرين نفسهِ فلا نطلق عليهِ لفظ العشرين الا بعد تمامهِ اي بعد انتهآء سنة ٢٠٠٠

اذا تقرر ذلك كلهُ ثبت منهُ ان سنة احدى من التاريخ المسيحي هي السنة الاولى لا الثانية ومبدأها من اول يناير الذي هو مفتتح ايامها لا من اول يناير الذي جآء بعد تمامها وان سنة اثنتين هي السنة الثانية بعينها لا الثالثة واول يناير الذي بُدئت بهِ هو من سنة اثنتين لا من سنة احدى وكذا سنة ١٩٠٠ هي السنة الالف والتسع مئة بعينها وهي تتمة القرن التاسع عشر لا فاتحة القرن العشرين ولكن القرن العشرين يبدأ في اول يناير من سنة ١٩٠١ الآتية

على انهُ كيفما كان ذلك فهو امرٌ اعتباريٌّ فقط لا يغيّر شيئاً من التاريخ ولا اثر لهُ في دفاتر التجارة ولا سجلاّت الاحكام ولا آجال الديون والمعاهدات فسوآءٌ كانت هذه السنة ختام القرن التاسع عشر او فاتحة العشرين فانها لا تزال سنة ١٩٠٠ ولا يزال موقعها بين سنتي ١٨٩٩ و ١٩٠١ وانما اوردنا هذا الفصل اجابةً لبعض قرآئنا الادبآء في الاستفهام عن حقيقة هذه المسئلة ولا سيما انهم رأوا بعض جرائدنا قد صرّحت بكون هذه السنة هي رأس القرن العشرين وبنى بعضها عليهِ المقالات المطوّلة فرحَّب بالقرن

القادم وعلّق عليهِ الرغائب والآمال وودّع القرن الراحل وعدّد مالهُ من محاسن الآثار ومساوئ الاعمال وهي انما فعلت ذلك تقليداً للقائلين بهِ لا عن بيّنةٍ ولا نتيجة بحث مع انا لو رددنا كل واحدةٍ من تلك الجرائد الى الاعداد التي اصدرتها في اول سنةٍ من ظهورها لوجدت انها قد اثبتت في عنوان كل عددٍ منها « السنة الاولى » لا سنة الصفر وعلى هذا درجت في السنين التالية فلم تجعل سنتها الخامسة رابعة ولا العاشرة تاسعة ولكن الظاهر انهُ قد بهرها صدور الحكم في ذلك من مجلس برلين الاعلى ... فتلقتهُ بالتسليم من غير توقفٍ ولا ارتياب . وقد رُوي عن اقليدس الرياضي الشهير انهُ حين كان يلقن احد البطالسة مبادئ علم الهندسة وجد في فهمها صعوبةً فقال لهُ اليس من طريقٍ اسهل الى تعلم هذا الفنّ فقال ليس الى ذلك من طريقٍ للملوك يعني ان المسائل العلمية لا تحابي مقام الملوك ولا تعنو لسلطان الدول ولكن الحقائق تُتَّبع حيثما وُجدت ولا تكون تابعةً لاحد

اتّقاء البرد

البرد في عُرف علماء الطبيعة من العوامل التي لا حقيقة لها في نفسها وانما هو لفظةٌ اضافية يراد بها نقصان الحرارة لما أن من طبيعتها الانتشار والشيوع وطلب التساوي . فاذا مسّت اليد قطعةً من الثلج شعرت منها ببرد لان الثلج يتشرب من حرارة اليد اكثر مما تتشرب اليد من حرارة الثلج . وللسبب عينهِ اذا وُضعت هذه القطعة بجانب ميزانٍ قد انحطّت درجتهُ عن درجتها صعد الزئبق فيهِ للحال فاحدث الثلج هناك ارتفاعاً في الحرارة

لا هبوطاً وبالتالي احدث حرارةً لا برداً . فاذا عُلم ذلك سَهُلَ التوصل الى تعيين الذرائع التي تقي من البرد وهي التي تمنع نقصان الحرارة الغريزية في الجسم حتى تبقى على ميزانٍ واحد

على أن ما نجدهُ من البرد او نقصان الحرارة انما هو في ظاهر الجسم فقط واما الحرارة الباطنة فتبقى واحدةً في جميع الفصول والاقاليم المختلفة على التقريب وهي في الاحوال المعتدلة تكون ما بين ٣٦،٥ درجة و٣٧،٣ من المقياس المئوي (السنتغراد) وذلك اذا وُزنت تحت الابط وفي الاقاليم المتناهية البرد او الحرّ قد ترتفع او تنحطّ عن معظمها بما لا يزيد على نصف درجة الى درجة

اما طرق اتقآء البرد فترجع الى مبدأين احدهما المحافظة على الحرارة الغريزية ومنعها من الانتشار والتبدد في الهوآء المحيط والثاني توفير العوامل التي تزيد تولدها في الجسم اذ الجسم بمنزلة مُستوقَد تشتعل فيهِ الموادّ على الدوام بواسطة التنفس

فاما المحافظة على الحرارة الغريزية فتكون اولاً باللبـاس وفائدتهُ انهُ يكون حائلاً بين الجسم والهوآء المحيط وهو من الموصلات الضعيفة للحرارة فيمنع نفوذها الى الهوآء ويبقى ما ينبعث منهـا محصوراً حول الجسم فيمنع زيادة انبعاثهـا ويفيد الجسم تدفئةً وتسخيناً . وافضل الملابس للوقاية من البرد ما كان من النسيج الحيواني كالصوف والوبر والفرو لانهُ اضعف ايصالاً للحرارة من النسيج النباتي لكن بشرط ان تُقطع الصلة بين الجسم وما يحيط بهِ من الهوآء منعاً لتبدد الحرارة فيـهِ والا فان الصوف ونحوهُ

لا حرارة فيهِ ولا يفيد الدفء الا من حيث ما ذُكر. ويتبين لك مصداق ذلك من انك اذا شعرت ببردٍ في قدميك فحبستهما في حذاء مفرًّى فانك لا تشعر فيهما بحرارةٍ الا بعد زمنٍ طويل وربما لم تشعر بحرارةٍ اصلاً ما لم تستدعِها بفرك القدمين او بسبق حركةٍ يتهيج بها النسيج العضلي لردّ الفعل. ومن هنا تعلم ان ثوباً رقيقاً اذا كان ملزز النسيج مطبقاً تمام الاطباق على العنق والساعدين وتُرك بينهُ وبين الجلد طبقةٌ من الهوآء الذي هو ايضاً من الموصلات الضعيفة للحرارة يكون انفع واحفظ للحرارة من ثلاثة او اربعة اثواب من الصوف اذا كانت لاصقة بالجلد ومتخلخلة النسيج وان جلباباً محكم الخياطة محزوم الوسط ولا جيب لهُ على الصدر افضل من الفرو مهما كان كثيفاً

وثانياً بتسخين الهوآء المحيط بالجسم بحيث يكون على درجةٍ لا يتشرب فيها من حرارة الجسم ما يؤدّي فيها الى نقصانٍ محسوس. وقد عُلم بالاختبار ان غرفةً محكمة الاغلاق ولو لم يكن هوآؤها مسخّناً بالطرق الصناعية تكون حرارتها اعلى من حرارة الخارج بدرجتين او ثلاث الا ان هذا المقدار من الزياده في الحرارة غير كافٍ لحصول الدفء اذا كانت درجة الهوآء في الخارج منحطّةً كثيراً وحينئذٍ فلا بدّ من الالتجاء الى الحرارة الصناعية فيجوز في البلاد المعتدلة ان تُرفع الى ٢٥ او ٣٠ درجة وهي درجة الحمّام المعتدل الذي لا يفقد فيهِ الجسم شيئاً من حرارتهِ على ما ذكرهُ لتراي واما البلاد التي يهبط فيها الهوآء الخارج الى ١٠ درجات تحت الصفر فلا يجوز ان تتعدى حرارة المنازل فيها ١٥ الى ٢٠ درجة لانهُ اذا جُعلت حرارة الداخل على ٣٠ درجة لزم

التعرض للانتقال ٤٠ درجة دفعةً واحدة وفي ذلك اشد الخطر على الجسم

واما العوامل التي تولّد الحرارة في الجسم فهي الاغذية المعروفة بالتنفسية كما سماها ليبِك وهي الشحم والنشآء والسكَّر بانواعهِ والصموغ والموادّ الدهنية من السمن والزيت وسائر الادهان الحيوانية والنباتية لان هذه كلها من الموادّ التي تحترق في الجسم بواسطة اكسجين التنفس فتتجدد بها حرارتهُ. اما استعمال الاشربة الروحية في ذلك فهو قليل الغنآء فضلاً عما في تناول هذه الاشربة من الاضرار والآفات التي اسوأها استدراج متعاطيها الى ان تصير عادةً فيهِ يتعذر اقتلاعها. على ان قطعتين من السكّر او من الحلوآء فيهما من توليد الحرارة ما يزيد اضعافاً على ما في كأس المسكر التي تُتناول لهذه الغاية

وهناك شيءٌ آخر من مولّدات الحرارة هو في استطاعة كل احد وميسورٌ في كل حين ونعني به اكتسابها بطريق الرياضة والحركة العضلية لانها تزيد الاحتراق في الموادّ الكربونية في الجسم وبالتالي تزيد حركة التنفس فتزداد بها كمية الاكسيجين المتناولة من الهوآء . وانفع هذه الحركة ما تكرر برفق لا ما كان عنيفاً يقتضي جهداً وتعباً خلافاً لما يتبادر الى ذهن كثيرين ممن يجهدون انفسهم برياضةٍ شاقةّ قد تكون عواقبها مضرّة ولا سيما في اوان البرد الشديد

وبقي هنا امرٌ هو افضل من كل ما ذكر في اتقآء عادية البرد وهو ان يعوّد الجسم مباشرتهُ حتى لا يكون لهُ عليه تأثيرٌ يؤدّي الى الاضرار بالصحة ولكن لا بدّ في ذلك من مراعاة وجوه الحكمة فان ابن الستين مثلاً اذا رام

اعتياد البرد في تلك السن فقد يعرّض نفسهُ لعواقب تكون فيها هلكتهُ . وانما ينبغي ان يكون الشروع في اتخاذ هذه العادة في زمن الحداثة لكن لا في الحداثة الاولى اي حين يكون الطفل ابن سنتين او ثلاث فانهُ حينئذٍ يكون اشبه بالشيخ في عدم احتمال البرد ولكن افضل سنٍّ لذلك سن الثانية عشرة او الرابعة عشرة حين تكون الدورة الدموية قد بلغت القوة التي يمكن فيها ردّ الفعل . وانظر في ذلك الى اكثر الطبقات السافلة من الناس واصحاب المعايش الدنيئة ولا سيما البحّارة وصيّادي السمك وامثالهم ممن يتعرضون للبرد او للبرد والرطوبة معاً واجسادهم بادية فانك تراهم صحاح الامزجة اقوياء الابدان ولا تؤثر فيهم تلك الحالة شيئاً . ومما يُروَى عن بصوَيت الخطيب المشهور انهُ لم يوقد في غرفتهِ ناراً قطّ ولكنهُ كان اذا جلس لكتابة خطبهِ في معظم الشتاء لا يزيد على ان يغطي رجليهِ بدثار . وكذا يروى عن ڤكتور هوغو انهُ بلغ آخر حياتهِ ولم يزد في الشتاء على الدثار الصيفي وما ذلك الا من آثار العادة التي هي خير ما يتخذ من السلاح في مكافحة العوادي ودفع المؤذيات

تدبير المنزل

(تابع لما في الجزء السابق)

وأما العبيد والمماليك فالحاجة اليهم في المنازل كالحاجة الى جميع الناس في المدن وقد بيّنّا لأيّ شيءٍ احتاج الناس الى ان يتخذوا المدن ويجتمعوا فيها. والعبيد ثلاثة عبد الرقّ وعبد الشهوة وعبد الطبع . فعبد الرقّ هو الذي اوجبت الشريعة عليهِ العبودية وعبد الشهوة هو الذي لا يملك نفسهُ لغلبة

شهواتهِ وخواطرهِ عليهِ ومن كان كذلك فهو عبد سوءٍ وانسان سوءٍ لا يصلح لشيء . واما عبد الطبع فهو الذي لهُ بدنٌ قويٌّ صبورٌ على الكدّ وليس لهُ في نفسهِ تمييز ولا معهُ من العقل الا مقدار ما ينقاد بهِ لغيرهِ ولا يبلغ بهِ الى ان يقدر ان يدبّر نفسهُ وهو في طبيعتهِ قريبٌ من البهائم التي يصرّفها الناس كيف شآءوا ومن كان كذلك وان كان حرًّا فهو عبد والأصلح لهُ ان يكون عليهِ رئيسٌ يدبّرهُ

والعبيد يُحتاج اليهم لاشيآء فنهم من يُراد لتدبير المنزل ومنهم من يراد للخدمة والمعاطاة ومنهم من يراد للاعمال الجافية فينبغي للرجل اذا اراد شرآء مملوك ان ينظر اليهِ فان كان قد جمع مع عبودية الرقّ عبودية الشهوة فينبغي ان لا يتعرّض لشرآئهِ ولا ان يوطّن نفسهُ على قمعهِ وتقويمهِ ان طمع في ذلك ومن اشترى عبداً هذه حالهُ فقد اشترى عبداً لهُ موالٍ غيرهُ واذا كان كذلك فليس هو عبدهُ الا بالاسم واذا كان الانسان لا يملك نفسهُ فغيرهُ احرى بان لا يملكهُ . وان كان المملوك حرًّا بالطبع وكانت نفسهُ نفساً قوية وبدنهُ بدناً لطيفاً فهو ممن يوكَّل بالتدبير والحفظ وان كان حرًّا بالطبع وكانت نفسهُ نفساً لينّة ذليلة وبدنهُ بدناً جافياً فهو ممن يوكَّل بالخدمة والمناولة وان كان عبداً بالطبع وُكّل بالاعمال التي يُحتاج فيها الى الشدة والصبر

والعبيد يشبّهون باعضآء البدن التي يملك الانسان افعالها . أما الموكلون بحفظ المنزل وتدبيرهِ فهم بمنزلة الحواسّ لانهُ بالحواسّ يُعرَف ما يضرّ فيُدفع وما ينفع فيُجتاب . والموكلون بالخدمة يشبّهون باليدين لانهُ بهما يتوصل الى ادخال المرافق على البدن . والموكلون بالاعمال يشبّهون بالرجلين لان

عليهما كل البدن وثقله . فينبغي للرجل ان يحفظ مماليكهُ كحفظهِ لأعضآئهِ وان يفكّر لهم في امرين احدهما الجنس الذي يجمعهُ واياهم والآخر ما ابتُلوا بهِ فانهُ اذا فكّر في جنسهم علم انهم اناس مثلهُ يمكنهم ان يفهموا ما يفهم ويفكّروا فيما يفكّر فيهِ ويشتهوا ما يشتهي ومتى عاملهم على حسب ذلك اكتسب مع الفضيلة التي تصير لهُ في نفسهِ المحبة ممن يُرزَق الملك عليهِ . واذا فكّر فيما ابتُلوا بهِ علم انهُ لو ابتُلي بمثلهِ لأحبّ ان يُرزَق مولًى يرقّ عليهِ ويترفق بهِ . واذا جاءَت من المملوك الزلّات فينبغي للسيّد ان يتغافل عنهُ مرّةً ويقوّمهُ اخرى ويكون تقويمهُ اياهُ اولاً بالعتاب والتحذير والانذار فان عاد فبالغضب وان عاد فبالضرب ولا يعاقبهُ على ذنبٍ اتاهُ من غير معرفة ولا تعمّد ولا يترك عقوبتهُ على ذنبٍ اتاهُ عن شرارة وخبث . ولا ينبغي اذا اساءَ المملوك ان يُعاقَب الاّ بمثل ما يعاقَب بهِ الولد اذا اساءَ مثل تلك الاساءَة . ويجب ان يُجعل للمماليك اوقات راحة فان المملوك اذا أُردف بعمل على عمل وكُلّف نَصَباً بعد نصب ولم تكن لهُ راحةٌ فتر عن الخدمة وان كان حريصاً عليها والراحة تجدّد قوة البدن وتحبّب الى صاحبهِ العمل ومثلهُ في ذلك مثل القوس فانها ان تُركت موترةً استرخت وان حُطّت الى وقت الحاجة اليها دامت شدّتها وكانت اجدر ان يُنتفَع بها . وانّا لنعجب من قومٍ نراهم يُعنَون بدوابّهم ويحرصون على راحتها وعلى الاحسان اليها ولا يعطون مماليكهم نصيباً من ذلك والمملوك وان لم يكن محتملاً من الراحة ما تحتملهُ الدابّة لان كثير الراحة ربما ابطرهُ وفرّغهُ لما يضرّهُ والدابّة ليست تشبههُ في ذلك فانهُ غير مستغنٍ عن الراحة مما يستديم قوّتهُ

ويستدعي نشاطهُ ولا يبلغ المقدار الذي يخاف عليهِ ضررهُ . وبعدُ فهو من جنس المالك لهُ فقد ينبغي لمالكهِ ان يراعي مع توخّي حسن التدبير فيهِ الرحمة لهُ وما يتذكر من ضعفهِ . ولا ينبغي لاحد ان يغتنم من مملوكهِ ان يكون يرى انهُ لا بدّ لهُ من قبول امرهِ شآء او أبى بل يلتمس ان تكون خدمتهُ لهُ بالمحبة منهُ لذلك والنشاط لهُ والحرص عليهِ وينبغي لهُ ان يحرص على ان يكون انقياد مملوكهِ بالحيآء اكثر منهُ بالخوف وبالمحبة اكثر منهُ بايجاب الطاعة

وافضل المماليك الصغار لانهم احسن طاعةً واسرع قبولاً لما يعلّمون وهم الذين يألفون الموالي ويلزمون ما يجرون عليهِ من الاخلاق . وخير المماليك للرجل من لم يكن من جنسهِ لان الناس مولعون باستصغار اقاربهم والحسد لهم فللمجانسة من هذا نصيب . ومن حق المملوك ان يُكفى كل ما يحتاج اليهِ وان لا يكلَّف ما لا يقدر عليهِ ولا يحلّ لهُ وعليهِ الطاعة فان لم يطع بعد هذا وجبت عليهِ العقوبة على ما رتبنا من حالٍ بعد حال . وينبغي ان يكون للمماليك عند مواليهم مراتبَ من الاحسان والتفضيل واذا أحسن احدُهم رفعهُ من مرتبة الى مرتبة بقدر استحقاقهِ فان ذلك فيهِ حثٌّ للباقين على ان يلحقوا بهِ . انتهى

البغلة الوَلود

تناقلت الجرائد الانكليزية في هذه المدّة خبر بغلةٍ في نواحي الهند الانكليزية ولدت مهراً فكان لذلك موقع استغرابٍ عند كل من سمعهُ لما

هو معهود عند كل احد وما اجمعت عليهِ علماء طبائع الحيوان من ان البغلة لا تلد كما هو شأن كل حيوان جاء من نتاج نوعين . والذي بعث اليها بهذا النبأ رجلٌ من البياطرة (اطباء الخيل) في الجهادية الانكليزية في الهند يقال لهُ المستر ضَنّ وقد شهد بصحتهِ سردار الجيش هناك بعد ان رأى البغلة والمهر بنفسهِ كما سيجيء . وقد أطالت احدى المجلات الفرنسوية في ذلك وقلّبت الامر على اوجهٍ شتى لاستثبات صدقهِ من كذبهِ واخيراً مضت على تصديقهِ ولكنها عللتهُ بما لا يستحيل معهُ وقوع مثل ذلك في الظاهر قالت

مما راقبهُ القائمون على تربية الحيوان ان الحمل الاول يمكن ان يبقى لهُ اثرٌ في الحامل ينتقل الى الحمل الذي يليهِ فقد روى سبنسر نقلاً عن فلِنْت انهُ اتفق غير مرةٍ في البلاد المتحدة ان امرأةً من البيض بعدان تزوجت برجلٍ اسود تزوجت برجلٍ ابيض فولدت اولاداً فيهم بعض خصائص السود وذكر داروين عدة حوادث تثبت وقوع مثل ذلك في ضروبٍ مختلفة من الحيوان . وتعليل ذلك انهُ في مدة الحمل يقع امتزاجٌ بين الانثى وجنينها حتى يصح ان يُعتبَر كلاهما بمنزلة شخصٍ واحد يعيش بحياةٍ واحدة ويغتذي بدمٍ واحد فيكون بينهما من التبادل ما يقضي بان تتكيف الأمّ بطبيعة الجنين حتى اذا كان الجنين من غير نوعها تندسّ طبيعة هذا النوع في الأمّ

وهذا التكيُّف يمكن ان يزول اذا لم يتكرر سببهُ ولا سيما اذا وُجد سببٌ يفعل غير فعل الاول لكن يمكن ان يبقى احياناً عدة سنوات . واذا كثر تكرُّر السبب على وجهٍ واحد فقد ينتهي الى تبديل طبيعة الأُمّ من اصلها لما شوهد غير مرةٍ من ان الزوجين اذا كثر بنوهما فقد يقع بينهما تشابهٌ

تامٌّ . وكما يكتسب الابنآء شبهاً من الزوج الاول لوالدتهم اذا وُلد لها قبل تزوُّجها بالآخر فانها اذا تزوجت بغير واحد قبل زوجها الاخير فقد يكون هذا التأثير لكل واحدٍ منهم جآءها منهُ ولد

اذا تقرر كل ذلك فلنعد الى حديث البغلة المذكورة فنقول

اذا كان النتاج يكتسب طبيعة الوالد السابق فمن المحتمل انهُ اذا ولدت فرسٌ اول مرةٍ بغلاً ثم ولدت مهرةً تكتسب هذه المهرة مشابه من البغل توهم الناظر انها بغلةٌ حقيقية ومن هنا تنشأ البغال اللواتي يلدنَ المهار لانهنَّ لسنَ الا افراساً تحت ثوب البغال . ولكي يمكن الجزم بكون البغلة التي يُدَّعى انها ولدت مهراً هي بغلةٌ في الحقيقة لا بدَّ ان يُستوثَق من تأريخها اي من معرفة ابيها وأمها والاَّ لم يؤمن الوهم في ذلك وهذا ما لم نقف عليهِ في امر البغلة التي نحن في حديثها فان عبارة الجرائد الانكليزية تقول انهُ في ٦ اوغسطس الاخير في ولاية كابرتولا من الهند الانكليزية ولدت بغلةٌ مهراً وانهُ لما بلغ ذلك الوزير الاول السردار راغات سنغ توجه بنفسهِ لمشاهدة البغلة ومولودها وان عقلآء البلد استغربوا هذا الحادث وتطيّروا منهُ . ثم ان الوزير لما تحقق صحة الامر نقل صورة الام والولد بالفوتوغرافية وكان منظر الام لا يُفرق عن منظر البغال في شيء واما الولد فكان اشبه بالخيل منهُ بالبغال

اما تأريخ البغلة قبل ذلك وسائر ما يتعلق بتحقيق اصلها فلم يتعرض المستر ضَنّ لذكر شيءٍ منهُ ولعلهُ لم يفطن لوجوب البحث فيهِ ولكن فحص الامر كان موكولاً الى عهدة السردار على انا لا نعلم هل كان بحيث يمكنهُ الاضطلاع بحق هذا الفحص وهل تيسر لهُ الوصول الى ما يستلزمهُ الوقوف

على مثل هذه الحقيقة

ومهما يكن من ذلك فان هذا ليس باول حادثٍ من هذا القبيل زعزع اعتقاد علماء طبائع الحيوان من جهة عقم البغال فقد حدث مثل ذلك في فرنسا في موضعٍ لا يبعد كثيراً عن مدينة باريز وهو المكان المسمى بحديقة التبليد[1] فان بغلةً من الجزائر أُتي بها الى الحديقة المذكورة فولدت فكان لولادتها اغرب وقعٍ في ذلك الاوان واخذ الفاحصون في التنقيب عن اصل هـذه البغلة فلم يهتدوا منهُ الى حقيقة الا ان البغلة كانت فيها مشابه شديدة من الخيل ولم يكن فيها من شبه البغال الا طول اذنيها . وهذه ايضاً ولا شك كانت امها قد ولدت قبلها بغلاً ثم ولدتها فجاءت على شبَه البغال

ورُوي مثل ذلك ايضاً في جريدة البيطرة العسكرية بتاريخ ٤ ستمبر سنة١٨٩٧ . على ان حديث هذه البغال غير مقصور على ما حدث في هذه الايام فقط ولكن يمكن ان نعثر على شيء منهُ في التواريخ القديمة فقد ذكر هيرودوطس في تاريخهِ ان بغلةً لزوبير بن مغابيز ولدت في الشهر العشرين من حصار بابل قال وكان احد المنجمين قد انبأ في اول الحصار ان المدينة ستُفتَح اذا ولدت البغال فوقع عند زوبير ان ذلك كان الهاماً من الالهة للمنجم

---

(١) لم نجد لفظة اقرب من هذه لتعريب قولهم Acclimatation وهي لفظة مشتقة من Climat اي اقليم يراد بها تعويد الحيوان او النبات الغريب اقليم البلاد التي ينقل اليها . والتبليد مصدر بلده بالتشديد تعدية قولهم بلد بالمكان بلوداً اذا اتخذهُ بلداً . وما ننكر ان هذه اللفظة لا تنطبق تمام الانطباق على المعنى المقصود ولكنك اذا اعتبرت اكثر الالفاظ المنقولة عن معانيها في اللغة وجدتها في الاصل كذلك ثم تتعين بالعرف

وايقن بقرب فتح المدينة [١]

بيدأن من الناس من يحمل مثل هذا على غير ما ذكرناهُ ويزعم ان البغلة تلد حقيقةً لان بعضهم رأى بغلةً تُرضع جحشاً والذي عندنا ان هذا لا يدلّ على شيء لان الذكران احياناً تُرضع ولكن لكي يثبت ان بغلةً ولدت لا بد من تحقق حال البغلة من قبل وتيقُّن انها بغلةٌ حقيقية . وعلى الجملة فكل ما رُوي الى الآن عن ولادة البغال اما ان تكون الولادة قد وقعت فعلاً ولكن لم يثبت ان الانثى التي ولدت هي على الحقيقة بغلة واما ان تكون الانثى بغلةً حقيقية ولكن لم يثبت ان المولود منها وعليهِ فعقُم البغال كان ولن يزال سنةً من سنن الطبيعة التي لا تتغير

الارملة ووحيدها

وردتنا القصيدة الآتية تحت هذا العنوان من نظم حضرة الاديب الشاعر الكاتب يوسف افندي البستاني منشئ جريدة المحروسة الغرّآء فاحببنا نشرها بين ايدي القرآء لما فيها من طلاوة الجديد قال

اضجعتهُ وقبّلت ناظريه　　بحنانٍ يفوقُ وصفَ اللبيبِ
ثم قامت عن السرير وقالت　　ربِّ صنهُ والُطف بقابي الكئيبِ
ربِّ انت الابُ الحنون لطفلي　　انت عوني وانت خير مجيبِ

(١) جاء في حياة الحيوان الكبرى للدميري في الكلام على البغل ما نصهُ وهو عقيم لا يولد له لكن في تاريخ ابن البطريق في حوادث سنة اربع وار بعين وار بعمائة ان بغلة بنابلس ولدت في بطن حجرة سودآء وبغلاً ابيض . قال وهذا اعجب ما سمع . اه

ثم مالت الى خيـاطٍ وخيطٍ	ورداءٍ من النسيج قشيبِ
تارةً ترفأُ الرداءَ وطوراً	تصرفُ الطرفَ للسرير القريبِ
كان ذاكَ السرير كلَّ رجاءٍ	كان كلَّ العزاءِ وقت الخطوبِ
بعـد زوجٍ قضى شهيـداً هماماً	في اُسترَسبْورَ إثرَ شرّ الحروبِ
لم يخلّف سوى صبيٍّ وحيـدٍ	ومزيدِ الاسى وفرط الكروبِ
كان كلُّ الكفافِ من كفّ أُمٍّ	زانهـا الله باجتهـادٍ عجيبِ
ذاتِ حسنٍ وعفةٍ وإبآءٍ	واصطبـارٍ على الملمّ العصيبِ
غذّت الطفل بالخصالِ الغوالي	واعدّتهُ للزمان المريبِ
كلَّ يومٍ تعيد ذكر فرنسا	وتغـالي بوصفهـا المحبوبِ
تلك ارضٌ تقول ربَّتك فاحفظ	عهدها وارعهَا كما تعتني بي
ارض مجدٍ ابوكَ مات فداها	موتَ شهمٍ حرّ الخصـال اريبِ
حبّ احبابها وأبغض عداها	واحترمهـا على توالي الحقـوبِ
سوفَ تدعوكَ ان حييت لثأرٍ	فتلبي النـداءَ غـير هيوب

***

نام آنـاً وبينما هو مغفٍ	قصفَ الرعدُ تِلوَ سيلٍ صبيبِ
ذُعِرَ الطفل فاستفاق ونادى	« أُميّ السيفَ فالوغى في نشوبِ »
غير أنَّ النعاس ثابَ اليه	فـلواهُ ليَّ الغُصين الرطيبِ
ثم هبَّت فاقلقتهُ رياحٌ	ورعودٌ فصـاحَ غـير رعيبِ
أُميَّ السيفَ فالبرُسيانُ ... قالت	ذاكَ صوت الرعود نَمْ يا حبيبي

***

هكذا ينشأُ الأُرُبيُّ حرًّا	يرضعُ البأسَ وقت رضعِ الحليبِ

اسئلة واجوبتها

القاهرة - يقول الاب لويس شيخو في كتاب علم الادب (ص ٣١٦) سناد الحذو هو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الرويّ المطلق مثل فتحة النون وكسرة البآء من قولك (سَنَد وكَبِد) مع انهُ عرَّف « الحذو » (ص ٣١٢) بانهُ « حركة ما قبل الردف » كحَركة الميم في (مال) وعرَّف « الردف » (ص ٣٠٩) بانهُ « حرف لين ساكن (كذا) قبل الرويّ » ثم قال في آخر ص ٣١٢ واول ٣١٣ هذه الحركات « انما » يجب المحافظة عليها في كل الابيات اذا ما دخلت في البيت الاول وقد استثنوا من ذلك « حركة واو الردف ويآئهِ » (كذا) وكذلك حركة الحذو « في » الرويّ المقيَّد فيجوز مثلاً الجمع بين (يَعُدْ وصَعِدْ وقَعَدْ)

فكيف يعرّف الحذو بانهُ حركة ما قبل الردف (ص ٣١٢) ثم يجعلهُ حركة ما قبل الرويّ المطلق (ص ٣١٦) ثم حركة ما قبل الرويّ المقيد (ص ٣١٣) ثم كيف يقول ان الردف هو حرف اللين « الساكن » (ص٣٠٩) ويقول بعد ذلك وقد استثنوا من ذلك « حركة » واو الردف ويآئهِ (ص ٣١٣) وكيف يعدّ اختلاف حركتي النون والبآء في سَنَد وكَبِد سناداً اي عيباً (ص ٣١٦) ويقول بعد ذلك انهُ يجوز الجمع بين يَعُد وصَعِد وقَعَد (ص ٣١٣) وكيف يمكن ان يوفق بين هذه الاقوال المتضاربة والاحكام المتلاطمة

ا * زينية

المحامي في القاهرة

الجواب ـ اما سناد الحذو فهو اختلاف الحركة الواقعة قبل الردف وهو حرف اللين قبل الرويّ مثلما اذا جُمع في القافية بين النُور والجور . واما اختلاف حركة ما قبل الرويّ المقيَّد (لا « المطلق » لان هذه ليست من الحركات التي لها حكمٌ في القافية) مثل فتحة النون وكسرة الباء من قولك سَنَدْ وكَبِدْ فهذا يقال لهُ سناد التوجيه والتوجيه هو حركة ما قبل الرويّ المقيَّد

واما كيف يوفَّق بين هذه الاقوال المتضاربة والاحكام المتلاكمة فهذا ليس من وظيفة « المحامي » وان ابيتم الا ان تصلحوا بين هذه الخصوم فارجعوا الى حضرة الاب فانهُ كما علمتم ممن يكرهون الشقاق ويحرصون على المسالمة ولو اضاع شيئاً من الشهرة التي يتفانى في الحصول عليها .....

بيروت ـ بينما كنت اطالع في شرح مجاني الادب لحضرة الاب لويس شيخو وجدتهُ يقول في صفحة ٤٧٥ ما نصهُ « ان لون الكواكب بالاجمال هو البياض كنور الشمس الا ان بعضها يتلون بالوان مختلفة منها السماك والدبران وبيت الجوزاء فانها ضاربة الى الحمرة ومنها ما يميل الى الصفرة كالجدي والطير .. » . فقولهُ « السماك » هما سماكان الاعزل والرامح فايهما يصح ان يراد هنا . وقولهُ « بيت الجوزآء » لم اجد لهذا النجم ذكراً في شيء مما قرأتهُ من كتب الفلكيين وكذلك قولهُ « الطير » فما المراد بهذين النجمين

ثم وجدتهُ يقول في الصفحة نفسها « السفينة كوكبة قرب الشعرى اليمانية اي الدب الاكبر » مع ان الدب الاكبر من الصور الشمالية فكيف ذلك وقرأت لهُ في صفحة ٤٧٨ في الكلام على المجرة ما نصهُ « جاء في

الاثر ان كواكب المجرة شرح السمآء كانها مجمع السماء كشرح القبة » فما معنى الشرح هنا ارجو ايضاح ذلك كلهِ ولكم الفضل		ج * ي * ن

الجواب ـ اما السماك الذي يضرب لونهُ الى الحمرة فالاقرب ان يكون هو الرامح لان السماك الاعزل ابيض الى الزُرقة . واما « بيت الجوزآء » فلم يُسمع بنجم بهذا الاسم فالظاهر انهُ عرَّبهُ عن اللفظ الافرنجي Bételgeuse وهو عربيٌّ في الاصل منقول عن « إِبط الجوزآء » فعرَّبهُ « بيت الجوزآء » وكذلك « الطير » الظاهر ان المراد بهِ النسر الطائر وهو الذي يعبر عنهُ الافرنج بقولهم Altaïr فعرَّبهُ الطير الا ان هذا لونهُ ابيض لا اصفر وكأن هذا من توابع تحريفهِ كما عكس في الشمس فجلعها بيضاء وهي معدودة في النجوم الصفرآء . واما تسميتهُ الشعرى اليمانية بالدب الاكبر فمن اغرب ما سُمع واين الدب الذي هو في اقصى الشمال من الشعرى التي هي من كواكب الجنوب ولكن الظاهر انهُ التبس عليهِ الكلب الاكبر بالدب الاكبر فوضع احدهما مكان الآخر . واما تسميتهُ المجرة « بشرح السمآء » فقد تصحف عليهِ هذا اللفظ هنا كما تصحف عليهِ في الجزء الثالث من المجاني (ص ٢٦٤) فجعلهُ « سُرُج السمآء » كما جآء ذكرهُ في صفحة ٨٤ من ضيآء هذه السنة والصوابَ « شَرَج السمآء » بالشين المعجمة والجيم على ما ذكرنا من تصحيحهِ هناك ومعنى الشَرَج العرى التي تشدّ بها بعض شُقق الخباء الى بعض وهو المراد بقولهِ « كشَرَج القبة » فيما نقلهُ من تفسير عبارة الاثر

القدس الشريف ـ جآء في الجزء الثاني من مجاني الادب (ص ٦٥ ـ ٦٦)

اجعل كلامك بسكون ووقار بحيث « يَستشهر » منك أن وراءهُ اكثر منهُ. وجآء في تفسير مجاني الادب (ص ٢٢٧) ما نصهُ « يستشهر منك اي يُفهم منك ويُستخلص » وقد بحثت في كتب اللغة فلم اجد « استشهر » لا بهذا المعنى ولا بغيرهِ فمن اين جآء بهذه اللفظة وما صحتها

(س *)

الجواب – اللفظة محرَّفة والظاهر ان اصلها « يُستشعَر » بالعين مكان الهآء وبالبنآء للمفعول من قولهم استشعر من هذا الامر خوفاً اي اضمرهُ. واما من اين جآء بهذه اللفظة فلعلهُ رآها كذلك في شيءٍ من مطبوعات لبسك او ليدن ... لكن يبقى معرفة تفسيرها بما ذكرهُ ومن اين جآء بهذا التفسير وهذا ما لا يستطيع الجواب عليهِ الا المؤلف

آثار ادبيّة

الرئيس – مجلةٌ طبية جراحية علمية ادبية تاريخية صاحب امتيازها ومحرر مقالاتها الطبية حضرة النطاسي الدكتور لويس الخازن ومحرر مقالاتها العلمية حضرة العالم الفاضل ابرهيم افندي الحوراني . وقد وقفنا على الجزء الاول منها فالفيناهُ كثير الفوائد جليل المطالب وقد افتتح بترجمة الشيخ الرئيس ابن سينا وتليها مقالة في تقدم الطب ثم عدة مقالاتٍ ونبذ طبية وعلمية حرية بالمطالعة والاستفادة . والمجلة المذكورة تطبع مرةً في الشهر في بلدة جونية من ساحل لبنان وقيمة اشتراكها عشرة فرنكات في السنة. فنثني على همة الفاضلين المشار اليهما ونتمنى لمجلتهما الانتشار والثبات

النبراس – صحيفة اصلاحيةٌ تهذيبية تصدر يوم السبت من كل اسبوع لحضرة منشئها الاديب نجيب افندي الجاويش وقد وصلت الينا منها الاعداد الاول فوجدنا فيها

عدة مطالب مهمة في السياسة والادب وغيرهما وقيمة اشتراكها ٦٠ قرشاً مصرياً في السنة فنرجو لها الثبات والرواج

اللوآء — جريدة يومية سياسية ينشرها حضرة السياسي الشهير مصطفى بك كامل في القاهرة وهي وطنية النزعة عثمانية المشرب وقيمة اشتراكها ١٠٠ قرش صاغ في القطر المصري و٣٥ فرنكاً في الخارج فنتمنى لها مزيد الانتشار

كتاب الاخبار السنية في الحروب الصليبية — اهديت لنا نسخة من هذا الكتاب تأليف حضرة الاديب سيد افندي علي الحريري اتى فيهِ على اخبار هذه الحروب مفصلة فيما يقرب من ٣٠٠ صفحة جمع فيها بين ما جآء في الكتب العربية وما عرّب عن الكتب الاجنبية وهو اول كتابٍ عربي جمعت فيه اخبار هذه الحروب فنشكر المؤلف على هذه الهدية ونرجو لكتابهِ مزيد الرواج

الغزالة — قد عادت الغزالة في هذه الايام الى الظهور بعد احتجابها مدةً ورآء غيوم العطلة وهي الجريدة التي عرفت بلطف ذوق منشئها ودقة انتقادهِ على العادات والآداب المختلفة تحت ثوب الفكاهة والنكتة وهي تصدر كعادتها باللغة العامية المصرية ومديرها حضرة الاديب ادوار افندي قرألي وقيمة اشتراكها ٢٠ قرشاً في القطر المصري و٦ فرنكات في غيرهِ فنتمنى لها الثبات

كتاب الاقتداء بالمسيح — قد ترجم هذا الكتاب عوداً على بدء عن اللغة اللاتينية بقلم حضرة العالم الفاضل الورع الخوري ماريا الفرآء الحلبي نزيل القدس الشريف وقد عقب كل فصل منهُ باعتبار يلائمه وطبعهُ طبعةً انيقةً محلاةً بالشكل فجآء كتاباً وافياً كثير الفوائد سهل العبارة ينطوي على نحو ٦٠٠ صفحة صغيرة فنثني على حضرة الاب طيب الثنآء لما عاناهُ في هذا الكتاب ونسأل لهُ تحقيق ما يرجو بهِ من النفع ومكافأتهُ بجزيل الثواب

فكاهات

رواية

الحسنآء [1]

رُوي انهُ في اثنآء الحرب التي ثارت بين الدولة العثمانية والروسية سطا الروس على قبائل التتر فنكلوا بهم تنكيلاً وطردوهم من منازلهم واوطانهم بعد ان نهبوا اموالهم وساقوا نسآءهم سبايا . وكان للتتر الجراكسة رئيس بطل همام يقال لهُ الحاج مراد لم يألُ جهداً في الدفاع عن قومهِ وجمع رجالهِ وحضّهم على المكافحة والثبات الى ان قلَّت جنودهُ وكثرت جيوش الروس فاضطرَّتهُ الى الهزيمة فراراً بحياتهِ ودخلت فرسان الروس منزلهُ فسلبت اموالهُ ولم يكن لهُ من العيال سوى ابنةٍ كالشمس في ريعان النهار لم تكد تبلغ الثانية عشرة من سنيها فاخذها احد قوادهم ولم يعد احدٌ يدري عنها شيئاً . اما والدها فلم يزل يفرّ امام مطارديهِ من بلدة الى اخرى الى ان بلغ معسكر الفِرَق العثمانية فانحاز تحت لوآئها ورهن سيفهُ للاخذ بثار بلاده والانتقام من اعدآئهِ . ولما تفاقم خطب الحرب بين الدولتين ارسلت كلٌّ من انكلترا وفرنسا رجالاً ينجدون رجال السلطان في القتال وانفذت الاولى بعض مدرعاتها الحربية لصدّ الروس عن التقدم ولاستخلاص الحصون التي كانوا قد غنموها كما

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني .

هو معلوم في التاريخ

وكانت الدوارع الانكليزية المذكورة تسير من ميناء الى آخر عملاً باوامر السردار العثماني لاغاثة بعض المواقع وتدمير غيرها . وكان الروسيون بعد ايقاعهم بالجراكسة قد افتتحوا مدينة كرتش وذلك قبل حادثة الرواية بثلاث سنوات فعاثوا فيها وافسدوا وبنى قائدهم البرنس ورنزوف في اجمل بقعة من المدينة قصراً فسيحاً واسع الارجاء زائد الاتقان وجعل همهُ مع المحافظة على المدينة ان يخزن في قصرهِ هذا المؤن والذخائر بينما كانت رجالهُ تسعى في تدمير المدينة ونهب بيوتها واستباحة ما حرَّمهُ الله والطبيعة عليهم ولم يمضِ الكثير حتى اصبحت اهالي المدينة في اشدّ الحاجة والفقر المدقع وكان قد نزح الى كرتش سابقاً بعض التتر وقد اختبروا قبلاً مظالم الروس فايقنوا بالهلاك وقد سُدَّت في وجوههم سبل النجاة

وبلغ السردار العثماني ما آلت اليهِ احوال سكان المدينة فطلب الى الجنرال الانكليزي ان يرسل من يعتمد عليهِ لانقاذ المدينة فاستدعى ربّان احدى السفن وجهزهُ بالاوامر اللازمة فانطلقت دارعتهُ تمخر عباب البحر قاصدة كرتش . وبلغ الخبر مسامع البرنس ورنزوف وعلم انهُ لا يقوى على مقاومة المدافع الانكليزية فترك قصرهُ تحت عناية خادم شيخ يثق بهِ وخرج بجميع جنودهِ من المدينة في نفس الليلة التي وصلت اليها الدارعة المذكورة . وكان تحت امرة ربان الدارعة فتىً رتبتهُ ملازم اول في الجندية فاستدعاهُ وفوض اليه قيادة مئتي فارس وامرهُ ان ينزل الى المدينة ويتوجه توًّا الى قصر البرنس ورنزوف فيستخرج منهُ ما يوجد فيهِ من المؤن ويفرقهُ على

الاهالي الذين يتضورون جوعاً . وكان الملازم واسمهُ أُسبُرْن يتوقع مثل هذه الفرصة لاظهار بسالتهِ طلباً للترقي فاستقبل الامر بوجهٍ باش وسار في مقدمة فرقتهِ كانهُ مدعوٌّ الى وليمة فاخرة . وعلم اسبرن بفرار الروس فارسل من يستطلع اخبارهم فوجد انهم قد اخلوا المدينة باعظم سرعة واشد خوف كما دلهُ على ذلك بقاء مهماتهم ومدافعهم وسائر اثقالهم متروكةً في الارض لتعجيل الفرار وقصدوا سيبستبول لينضموا الى الجيش العام . ولما تحقق اسبرن ذلك توجه الى قصر الى البرنس وترجل امام بابهِ فاستقبلهُ الخادم المعهود اليهِ في المحافظة على القصر فسألهُ اسبرن عدة مسائل وعلم منهُ ان البرنس اصدر امرهُ قبل براحهِ الى خادمهِ ان لا يمانع في اخراج كل ما في القصر وتسليمهِ الى الانكليز سوى انهُ استحلفهُ ان يبذل جهدهُ في بقاء القصر سالماً لانهُ كان قد انفق على اقامتهِ الاموال الطائلة آملاً انهُ بعد انقضاء الحرب يعود فيسكن في تلك البقعة . ثم قال الخادم لاسبرن اني مستعدٌّ يا مولاي ان اسير في خدمتك الى داخل القصر وانفذ اوامرك بكل دقة وطاعة لكن ارغب اليك ان لا تدخل بكل هؤلاء الجنود فاني اخاف على التحف الموجودة في غُرَف القصر . وبعد مباحثة قليلة في شؤون مختلفة امر اسبرن رجالهُ ان ينتظروهُ على شاطئ البحر ودخل مع الخادم الى داخل القصر . وجعل الخادم يسير بأُسبُرْن من غرفةٍ الى غرفة ومن رواقٍ الى آخر ويريهِ الرياش الثمين والتحف الغالية والجواهر النادرة وكان اسبرن لا يهتمُّ بشيء من ذلك بل يلحّ على الخادم ان يوصلهُ الى مستودع المؤونة الى ان بلغا سلماً فنزلاهُ وانتهى بهما الى بابٍ واسع فدخلاهُ واذا بهِ يؤدّي

الى رواقٍ فسيح الى جانبهِ غرف ملأى ببراميل اللحوم المقددة والبقسماط والحبوب وغير ذلك من المأكولات مما لو وُزع على اهالي المدينة بتدبير لكفاهم مدةً لا تقل عن شهرين . فقال أُسبرن يجب ان نخرج هذه حالاً الى المساكين الذين يموتون جوعاً وسأستدعي رجالي لنقلها . فقال الخادم عفواً يا مولاي انني اتوسل اليك ان لا تسمح لرجالك بالدخول الى القصر وقد وعدتني ان لا تسعى في خرابهِ بل ارسل مندوباً من قبلك وانا اسلم اليهِ على باب القصر كل ما تطلبهُ من المؤن . فقال أُسبرن لا بأس فسأذهب وفي المسآء ارسل اليك من يقوم بهذا الامر . ولما اراد اسبرن الخروج رأى الى يمينهِ باباً آخر فسأل الخادم الى اين يوصل هذا قال الى الحديقة وظهر على الخادم بعض الاضطراب فانتبه اسبرن لذلك وطلب ان يلجهُ . فقال الخادم ولكن يا مولاي ليس في الحديقة ما يهمك ان تراهُ . قال لا بد لي من دخولها . فامتقع لون الخادم ورأى اسبرن ارتباكهُ فخطر لهُ انهُ ربما يكون البرنس ورنزوف لا يزال مختبئاً فيها وتصور انهُ سيراهُ ويمسكهُ اسيراً فيقودهُ الى ربان الدارعة وينال بذلك ما طمحت اليهِ نفسهُ من الترقي ورفعة المقام . وبعد ان غاص حيناً في تأملاتهِ انتبه فرأى الخادم لا يزال واقفاً امامهُ كالمبهوت فصاح بهِ ان افتح الباب والا ضربت عنقك للحال ثم وضع يدهُ على مقبض سيفهِ ورأى الخادم انهُ لم يعد في امكانهِ المماطلة فاسرع الى الباب وفتحهُ بيدٍ مرتجفة ودخل اسبرن فجعل يتمشى بين الاشجار والرياحين وهو يعجب من حسن الحديقة واتقان تقسيمها الى ان رأى في وسطها حجرةً صغيرة تظللها الاشجار محكمة الصنعة حسنة الهيئة وخُيّل لهُ انهُ رأى

في نافذةٍ منها شبح انسان فلم يشك في وجود البرنس مختفياً فيها وتقدم الى ناحية الحجرة المذكورة . اما الخادم فجثا امام اسبرن وجعل يبتهل اليهِ ان لا يتقدم الى الحجرة ويؤكد لهُ ان ليس هنالك ما يهمهُ مرآهُ فلم يكن الحاحهُ الاّ ليزيد في رغبة اسبرن فقال للخادم لا بد يا هذا من الدخول والويل لك ان خالفتني وقرأ الخادم في عيني اسبرن التصميم القاطع فسار امامهُ صاغراً الى الباب وفتحهُ . فدخل اسبرن وبنظرةٍ واحدة فحص جميع ما في الغرفة فلم يرَ فيها احداً خلافاً لما تصور قبلاً ثم ظهر لهُ بابٌ آخر فهجم اليهِ وفتحهُ بيدهِ واذ ذاك وقع بصرهُ على حوريةٍ من الحور رقيقة الخصر باسمة الثغر سوداء الشعر بيضاء اللون ذابلة الجفن وقد جلست على مقعدٍ من الدمقس واسندت رأسها الى يدها فسقط القميص الى مرفقها وبان من تحتهِ عصاً من العاج وقد احاطت بها ثلاثٌ من الجواري يظهر انهنَّ خادماتٌ لها فوقف اسبرن حيناً وهو مبهوتٌ يتفرس في ذلك الجمال الملكي ثم رجع الى الغرفة الاولى فاعترضهُ الخادم قائلاً قد رأيت يا مولاي ان ليس البرنس ورنزوف هنا وعسى ان تكون قد اقتنعت بذلك غير اني اجثو على قدميك وارغب اليك ان تنسى ما رأيت ضمن هذا الجدار وان لا تسعى في زيادة استعلام عن ذلك وانا واثقٌ من كرمك وانفة نفسك ان تعدني بذلك فوعدهُ اسبرن وخرج وهو في حيرةٍ تامة وبعد خروجهِ اتفق مع الخادم على ان يرسل اليهِ نفراً من رجالهِ لاخذ المؤونة اللازمة للشعب الجائع . ثم سار اسبرن وهو يفكر في ربة ذلك الجمال البديع واخذت تتقاذفهُ تيارات التخمينات وهو يقول هل هذه الغادة سبيَّة او مقيمة عن رضى . وانهُ كذلك

اذ رأى في طريقهِ شيخاً علم من هيئتهِ انهُ من مشايخ الجراكسة فحيّاهُ بلغتهِ ودار بينهما حديثٌ قصير علم منهُ اسبرن انهُ غريب الديار سائح في تلك القفار وقد وصل الى مدينة كرتش تعباً جائعاً وجال علهُ يجد لهُ مأوًى فلم يرَ محلاًّ يبيت فيهِ ولا شيئاً يقتات بهِ . فقال لهُ اسبرن انهُ اذا كان يحبّ ان يبيت في قصر البرنس ورنزوف فهو يسهل لهُ ذلك . فسُرّ الشيخ بذلك وشكر فعاد بهِ الى القصر واوصى الخادم ان يضيفهُ تلك الليلة . ولما عاد اسبرن الى الباخرة اخبر رئيسهُ بما فعل نهارهُ فاثنى عليهِ واعلمهُ ان الاوامر تقضي برحيلهم عن كرتش في مسآء اليوم الثاني واوصاهُ ان يعود في الغد ويخرج المؤونة من القصر لتوزع على الاهالي وان يتفقد المهاجرين من التتر والجركس حتى اذا شآء احدٌ الرجوع الى وطنهِ فالدارعة مستعدة لنقلهِ الى حيث يشآء

ولم يصدق اسبرن ان اضآء الصباح التالي حتى خرج الى البر راجياً ان يتزود بنظرةٍ اخرى من تلك الفاتنة ولما كان قد وعد الخادم انهُ لا يفاتحهُ بحديثها بعدُ عمد الى طريقةٍ اخرى فتوجه من جهة ثانية الى حديقة القصر واستعان باحدى الاشجار فتسلق حائط الحديقة ووثب الى داخلها ثم سار متحذراً الى ناحية الحجرة . وقبل ان يصل اليها رأى بابها قد فُتح وخرجت الفتاة منهُ وجعلت تتقدم الى طرف الحديقة بقدم واجفة فكمن اسبرن بين النبات المشتبك ليرى الغاية من مسيرها ثم نظر من الجهة الثانية واذا بالشيخ الجركسي الذي صادفهُ بالامس قادمٌ من طرف الحديقة حتى التقى بالفتاة فانحنى عليها يقبلها وهي تقبل يدهُ ووقفا يتكلمان هنيهةً بصوتٍ لم يسمعهُ

اسبرن ثم عادا الى القبلات و بعد ذلك افترقا وعاد كلٌّ من حيث اتى . ورأى اسبرن في المسألة سرًّا لم يتمكن من حل معماهُ ولكنهُ عزم على مفاتحة الشيخ بالامر واذ ذاك عاد فوثب الجدار ودخل الى القصر من بابهِ ورأى الخادم فاوعز اليهِ بالاوامر اللازمة ثم رأى الشيخ خارجاً فرافقهُ في طريقهِ واعلمهُ ان الدارعة تسافر في ذلك المسآء وانها مستعدة لنقل من شآء من متغربي التتر الى اوطانهم . فاظهر الشيخ سرورهُ بذلك ولكنهُ وقف للحال مفكراً فقال لهُ اسبرن ألم يسرك هذا الخبر اكثر من مقابلتك لفتاة القصر صباحاً . فذُعر الشيخ ولما رأى ان لاسبرن الماماً بالامر قال تعالَ اقص عليك الامر . انا الحاج مراد الذي ولا بد سمعت بهِ وقد حرمني القدر كل افراد اسرتي سوى فتاةٍ عذرآء تدعى حسنآء سباها الروس في اثنآء حربنا الاخيرة منذ ثلاث سنوات وكان لها من العمر اثنتا عشرة سنة . وقد قضيت هذه المدة كلها في البحث عنها حتى علمت اخيراً انها هي المسجونة في قصر البرنس وقد قابلتها هذا الصباح وعلمت انها في رغد وسرور تنتظر خلاصها من هذا الاسر وهي لم تزل مرعية الكرامة مصونة الطهر ولم يجترئ بعد ذلك البرنس الظالم على ان يدنو منها وقد صممت ان اسعى في خلاصها فهل لك ان تساعدني في ذلك ايها الفتى . ولم يكن عند اُسبرن شيءٌ احب من ذلك فوعدهُ خيراً . وفي المسآء انهمك خادم القصر في تسليم المؤن للعساكر فذهب اسبرن والحاج مراد الى الحديقة ودخل الحاج الى ابنتهِ فاخرجها مع خادماتها واخذهم اسبرن الى قاربٍ كان بالانتظار فخر بهم للحال الى السفينة . ولمّا اكمل اسبرن مهمتهُ تبعهم الى البحر و بعد ان غربت

الشمس سارت بهم الباخرة تشق عباب اليمّ آخذةً جهة انابا وهي مدينة الحاج مراد . اما اسبرن فلم يتمكن من اخفآء ما ألم بهِ من الكلف بحب حسنآء ففاتحها بحديث الحب فظهر لهُ انها قد اصابها ما اصابهُ منذ نظرتهُ اول نظرة . اما الحاج مراد فلم يخفَ عليهِ ما اضمر اسبرن من محبة ابنتهِ فاستدعاهُ الى جانب وقال لهُ قد فهمت ما بك من الميل الى ابنتي لكني ارجو منك ان لا تشغل افكارها بشيء من ذلك فان ما في نفسك لن يتم وان كنت اعز الناس عندي واحقهم بها لانك انت الذي رددتها عليَّ وانقذتها من مخالب الاسر ولكنك تعلم ان ما بيننا من اختلاف المعتقد يمنع من صلة القرابة . فلما سمع اسبرن هذا الكلام وقع على سماعهِ كوقوع الصاعقة غير انهُ تجلد واستعان بعزة نفسهِ على مقاومة هواهُ وقد رأى ما في كلام الحاج مراد من الصواب فطوى عن الامر كشحاً وقلبهُ يلتهب بنيران الغرام . ولما بلغت الباخرة انابا انزلت ركابها ومن جملتهم الحاج مراد وابنتهُ حسنآء فانصرفا بعد ان ودعا اسبرن وشكراهُ على مزيد اعتنائهِ بهما

وكان بعد بضعة اشهر ان عاد الروس الى اضطهاد الجراكسة في نواحي انابا وقسم الحظ لباخرة اسبرن ان تذهب الى ذلك الثغر للمدافعة عن اولئك المساكين ومقاومة الروس وخرج القائد الانكليزي برجالهِ الى البر فالتقى بالروسيين واشتبك بينهم قتالٌ هائل اجلى عن انتصار الانكليز وفشل الروس بعد ان فقد الانكليز عدداً عظيماً من رجالهم وكان بين المفقودين اسبرن

وبعد الموقعة ببضعة ايام افاق اسبرن من نومهِ فاذا هو على سرير من الدمقس والى جانبهِ فتاة كالحور العين بيدها مروحة من ريش النعام تروّح

لهُ بها وتمسح عرقهُ المتحاب من جبينهِ بمنديل حريري في يدها. ولما تفرس فيها ملياً عرفها انها حسناء فكلمتهُ ولاطفتهُ ثم قصَّت عليهِ انهُ بعد الموقعة اظهر القائد الانكليزي اسفهُ العظيم على من فقد من رجالهِ وكان اشد اسفهِ على اسبرن فندبهُ وهو يظنهُ قد مات وكانت قد بلغتهُ اوامر مشددة بالرجوع للانضمام الى اسطولهِ فعاد سريعاً. قالت اما ابي فلما بلغهُ خبر سقوطك طار رشدهُ وتوجه للحال الى ساحة القتال علهُ يهتدي اليك فرآك وقد اثختك الجراح وبعد الفحص وجد انك لا تزال حياً فحملك الى هنا وجعل يعتني بك ويعالجك الى ان شفيت ولله الحمد . واذ ذاك دخل الحاج مراد فهنأ اسبرن بسلامتهِ وشكرهُ اسبرن على حسن صنيعهِ فقال الحاج لا تشكرني يا هذا فان ما فعلتهُ ليس الا مكافأةً لصنيعك وقد ذكرتُ لك سابقاً ان المانع من مصاهرتك لي اختلاف المعتقد والواقع ليس كذلك ولكن كرهت ان تكون ابنتي في عصمة رجل يعتبر انهُ قد اشترى حياتها فاما الآن وقد وفيتك مثل جميلك فدونكها ان شئت فلا أَحبَّ اليَّ من ان يكون مثلك صهري لكن اشترط عليك ان لا تعترضها في امر دينها بل تطاق لها الحرية فيهِ الى ان تشاء هي ان تغير معتقدها

ولما نقه اسبرن عُقد لهُ على حسناء وبعد ان قضى مدةً في بيت حميهِ استأذنهُ في الرجوع الى بلادهِ وسافر هو وزوجتهُ بعد ان ودَّعا اباها وسائر اسرتها فقضيا بقية ايامهما في بلاد الانكليز وهما على اتم الرغد واصفى النعيم